

بوع له بالخلافة بعد وفاة أخيه الوليد في جمادي الآخرة سنة (٩٦هـ) وما أن استلم الحكم حتى نكل بآل الحجاج تنكيلاً فظيماً وعهد بتعذيبهم الى المهلب، وعزل جميع عمال الحجاج. ومن هؤلاء محمد بن القاسم في الهند وقتيبة بن مسلم في بلاد ما وراء النهر وموسى بن نصير الذي استعجل وقدم من الأندلس الى دمشق.

وأطلق في يوم واحد من سجن الحجاج إحدى وثمانين ألفاً، ووجد في السجن ثلاثين ألفاً ممن لا ذنب لهم وثلاثين ألف امرأة. وكانت هذه من مآثره وألطفه على الناس، وقد استكمل بناء المسجد الجامع الذي بناه الوليد لكنه كان مجحفاً أشد الإجحاف في جباية الخراج، فقد كتب الى عامله على مصر اسامة بن زيد التنوخي رسالة جاء فيها: (احلب الدر حتى ينقطع، واحلب الدم حتى ينصرم)، وقدم عليه اسامة بما جباه من الخراج وقال له: (إني ما جنتك حتى نهكت الرعية وجهدت فإن رأيت ان ترفق بها وترفه عليها)، فصاح به سليمان: (هبلتك امك احلب الدر، فإذا انقطع فاحلب الدم).

وكان شديد الإعجاب بنفسه، اشتهر بالفصاحة، وكان مغرمًا بالطعام والنساء وقد دب الترف والبذخ في البلاط الأموي في عهده وتسرب اليه الفساد وتعدت هذه الرذائل الى الولاة والأمراء.

اما أبرز أحداث عصره فهي:

١- محاولة فتح القسطنطينية:

أغار الروم على اللاذقية من نواحي حمص فذهبوا بما فيها ثم احرقوا، فانتدب سليمان أخاه مسلمة بن عبد الملك وأمره ان يقصد القسطنطينية حتى يفتحها وربط هو في مرج دابق على بعد أربعة فراسخ من حلب، وبعد حروب كثيرة انتصر فيها مسلمة حتى وصل الى أسوار القسطنطينية وأقام عليها شهوراً طويلاً حتى زرع وأكل مما زرع وأصاب المسلمين من جراء ذلك برد وجوع وفتكت النار الإغريقية بسفن المسلمين ونفذت أقواتهم لكنهم لم ينسحبوا منها حتى بعد وفاة سليمان، فأعادهم عمر بن عبد العزيز خليفته من بعده وعادت الحملة تجر ذيل الخيبة، كما اخفقت الحملة التي سبقتها في عهد معاوية.

سياسة سليمان بن عبد الملك الخارجية

أ-جبهة المشرق

الملاحظ في حكم سليمان بن عبد الملك انه لم تحدث هناك فتوحات في المشرق ويمكن ارجاع السبب في ذلك الى عدة عوامل واسباب وهي

١- طبيعة الظروف السياسية التي مرت بها الدولة الاموية في تلك الفترة ولاسيما بعد عام (٩٨هـ) وحتى سقوط الدولة الاموية عام

(١٣٢هـ / ٧٥٠م) حيث انشغلت باخماد الحركات التي بدأت تهب في وجهها من جددى مثل حركة الخوارج وحركة يزيد بن المهلب.

٢- تجدد الخلافات بين العرب وسكان خراسان والتي استغلها العباسيون فيما بعد لصالحهم ، حيث بدأت منذ ذلك الوقت دعوتهم السرية.

٣- النزاعات الداخلية وكثرة العناصر على السلطة بين افراد البيت الأموي مما اضعف هيبة الدولة وجعلها تنشغل بمشاكلها الداخلية على حساب التوسع في المشرق.

٤- فضلاً عن الاسباب السابقة الذكر ، فإن هذه البلاد الشرقية التي فتحها المسلمون لم تكف عن التمرد والعصيان واشعال نار

الثورات حتى اضحى جهد الخلفاء والولاة منصباً على اخضاع الثائرين والمحافظة على المكتسبات التي تحققت في السابق ولاسيما في عهد الوليد.

ب-الجبهة البيزنطية

كان الحديث المهم الذي شهد عهد سليمان بن عبد الملك هو عملية حصار القسطنطينية ، حيث ارسل عدة حملات لغزو اراضي البيزنطيين في مناطق الحدود في آسيا الصغرى وعلى الطرق المؤدية اليها بهدف الهاء السلطات البيزنطية والتمويه عن الهدف الرئيسي وهو الوصول الى الهدف الحقيقي وهي القسطنطينية.

وقد مهد سليمان بن عبد الملك لحمته هذه بغزوه بحرية بقيادة عمر بن حبيبة الغزادي ، واشرف الخليفة بنفسه على استعدادات الحملة واختيار لقيادتها اخاه مسلمة بن عبد الملك ، وتجهز مسلمة بكافة الاحتياجات التي تكفل النجاح لحمته من حيث المؤن والاحشاب اللازمة لاقامة بيوت تقي المسلمين برد الشتاء.

وقد حشد سليمان تحت قيادته حوالي ١٨٠ الف جندي جمعها من اهل الشام والجزيرة والموصل فضلاً عن ١٨٠٠ قطعة بحرية.

وصل الجيش الاسلامي الى ثغر الاناضول ومن ثم الى عمورية وحاصرها وعندما علم ليو قائد الثغر بنويا المسلمين أبدى استعداداه

للتعاون معهم ، وكان يتطلع الى انتزاع العرش الامبراطوري ، فاتفق مع مسلمة على خطة تتيح للمسلمين فتح القسطنطينية وترفعه الى العرش .

لذلك واصل المسلمون تقدمهم دون اية مقاومة جدية ، واصبحت هذه المنطقة مفتوحة امامهم ، وفي هذه الاثناء حصلت تطورات داخلية مهمة في بيزنطة تمكن خلالها ليو الأيسوري من ارتقاء العرش فتنكر لأتفافية السلام التي عقدها مع مسلمة ، فخدع المسلمين وتحايل على تجريدهم من قوتهم واقواتهم.

ولم يلبث ان وصل المسلمون الى اسوار القسطنطينية وحاصروها من جهة البر وفي نفس الوقت تحرك الأسطول الاسلامي الضخم باتجاه الدردنيل وبحر مرمرة وحاصر المدينة من جهة البحر وبذلك تعرضت القسطنطينية لحصار من البر والبحر .
واراد مسلمة اقتحام المدينة عنوة ونصب عليها المجانيق الضخمة ولكنه فشل في اقتحامها بسبب مناعة اسوارها فضلاً عن ذلك جاءت رياح عاتية حطمت سفن المسلمين فانتهز البيزنطيون هذه الفرصة واحرقوا اعداداً منها بالنار الاغريقية ورغم ذلك استمر المسلمون يحكمون الحصار على المدينة وطالت امد الحرب ، غير ان هذا الحصار والمرابطة لم تفلح في اختراق المدينة .
ويمكن اجمال سبب فشل الحصار على القسطنطينية الى عدة اسباب منها :

١. عجز المسلمون عن تطويق الجبهة الشمالية للعاصمة البيزنطية مما مكنها من الاتصال بسواحل البحر الأسود في الوقت الذي اخذت فيه المؤن لدى المسلمين بالتناقص بعد فشل وصول الامدادات من الشام.
٢. طبيعة الظروف المناخية القاسية والبرد الشديد فضلاً عن صعوبة طوبوغرافية المنطقة بالنسبة للعرب المسلمين.
٣. مهاجمة البلغار للمسلمين ولاسيما من الجانب الأوربي بالاتفاق مع ليو الثالث وتغليبهم على القائد عمر بن هبيرة الامر الذي ادى الى ابعادهم عن العاصمة.
٤. فتك النار الاغريقية التي استعملها البيزنطيون والتي احدثت اضراراً جسيمة جداً بالسفن الاسلامية.
٥. تواطئ البحارة المسيحيين اذلي يعملون في الاسطول الاسلامي مع البيزنطيين بعد ان نجح ليو الثالث في تحريضهم على العصيان فضلاً عن نفاذ القوات وطول امد الحصار الذي استمر على ما يزيد من سنة.
٦. فضلاً عن ذلك وفاة سليمان بن عبد الملك اثناء الحصار واعتلاء عمر بن عبد العزيز للحكم ، والذي لم يكن يميل الى مواصلة سياسية الفتوح لما تكلفه من ارواح ونفقات.

كل هذه الاسباب السابقة الذكر دفعت الحاكم الجديد عمر بن عبد العزيز الى ارسال كتاب الى مسلمة بن عبد الملك يأمره بفك الحصار عن القسطنطينية والعودة الى الشام . وتم ذلك اي رفع الحصار في ذي الحجة من سنة ٩٩ هـ ، وقام ما تبقى من الاسطول بنقل الجيش البري الى آسيا الصغرى غير ان هذا الجيش تعرض لعاصفة اثناء عبوره الأرخيبيل فتشتت السفن وهاجمها البيزنطيون ولم يتج منها سوى عدد قليل جداً . وكانت هذه هي المحاولة الأخيرة التي قام بها الأمويون لفتح القسطنطينية.

٢- بدايات الدعوة العباسية:

قدم الى دمشق أبو هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية سنة (٩٧ هـ) على سليمان فقضى حوائجه وحوائج من معه واجازه وعاد على بلاد فلسطين، وفي الطريق بعث سليمان الى لخم وجذام لبناً مسموماً ليسقوه أبا هاشم وكانه ظن به ظنوناً، فلما مر بهم أبو هاشم سقوه ذلك اللبن فلما أحس بالسم أمر من معه ان يعرّجوا به على الحميمة لمحمد بن علي بن عبد الله بن العباس القاطن فيها، فلما وصل اليه سلمه وصية كانت معه فيها أسماء الدعاة المعتمدين لديه في خراسان لأن كان لديه تنظيماً سرياً الغرض منه الإطاحة بالدولة الأموية وأخبره بأن الأمر صائر اليه والى أولاده من بعده كما سمعها من ابيه عن علي بن أبي طالب عليه السلام، وأوصاه ببعض الوصايا وأنبأه بكل ما يتعلق بالدعاة وكيفية التحرك ومات بعد ان دفع اليه بالكتاب، وكان اهل خراسان يعتقدون بإمامة ابو هاشم هذا بوصية من ابيه محمد بن الحنفية وهو بدوره أوصى الى محمد بن علي بن عبد الله الذي أوصى الى ابراهيم الإمام، وهكذا انتقلت الخلافة الى بني العباس بهذه الجهة من الوصية وسيأتي لاحقاً أن ابراهيم الامام أوصى الى أخيه أبو العباس السفاح أول خلفاء بني العباس.

وفاة سليمان بن عبد الملك

مات سليمان بن عبد الملك يوم الجمعة لعشر ليالٍ بقين من صفر سنة (٩٩ هـ) وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر وخمسة أيام وعهد من بعده الى ابن عمه عمر بن عبد العزيز والى اخيه يزيد بن عبد الملك من بعده.

المصدر: حسن ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام السياسي والديني.